Coptology

التجسد،

بين خداع النظر، وخداع اللفظ

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

www.coptology.org

لعل أكثر ما يثير عجبي هو عجز مَن يتصـــدرون للكتابة عن إيمان الكنيســـة الجامعة –وهم فقراء عقلياً وروحياً– لا هَمَّ لهم ســوى البحث عن كلمة أو ســطر من هنا وهناك لتأليف اتهام: "مخالف لتعليم الكنيسة القبطية الأرثوذكسية"، ومن ثمَّ يطرحون فكرةً خياليةً، لا وجود لها إلا في عقولهم الفقيرة التي لا تعرف التاريخ الكنســي، ولم يدرك هؤلاء أن لدينا إيماناً مشتركاً مع كل كنائس الشرق والغرب حتى ٤٥١ أي قبل الانقسام الحزين الذي أعقب مجمع خلقيدونية، ولذلك افترض هؤلاء أن الإيمان القبطي مختلفٌ عن الإيمان البيزنطي، وهذه كذبة من لم يدرس التاريخ.

افتراض الجهل وإنكار تجسد ابن الله:

يصـــر متعهدوا إشـــاعة أفكار الأنبا شـــنودة الثالث على المخاتلة والخداع غير مدركين لخطورة تبعات ما يحاولون إثبات صـــحته من أفكار على الإيمان، ولا يتورعون في ســبيل ذلك عن الاســتشــهاد بنصــوص من كتابات الآباء، يظنون بها أنهم حصــلوا على ضــالتهم المنشــودة، فينكرون على الرب أنه أخذ جســداً مماثلاً لجســد كل البشــر، والغريب أنهم يســتشــهدون في ذلك بكتاب تجســد الكلمة للقديس أثناســيوس الرســولي. ومحاولة الاســتشــهاد بالترجمة العربية وحدها لكتاب تجســد الكلمة للرســولي أثناســيوس، تثير في القلب دهشةً ورحمةً بالجهل وبالجهلاء.

هل أخذ ربنا له المجد جسد كل البشر؟

جسد كل بشر هو ما ذكره أثناسيوس نفسه: إن الرب أخذ "جسداً بشرياً"، أو إنســانياً (٤: ٣، ٤٣: ٤). وكأن أثناســيوس كان يرى ما ســوف يُقال، ويُكتب في زماننا

الذي عثر، فكتب: "أخذ لنفسه جسداً لا يختلف عن جسدنا" (٨: ٢)، وبعد هذه الفقرة: "أخذ جسداً من جنسنا" (٨: ٣)، تماماً مثل عبارة الرسول في العبرانيين "إذ اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو فيهما أيضاً" (عب ٢: ١٤)، وهذا ما جعله يأخذ جسداً ليُظهر ذاته به (٨: ٣).

وتبقى مشكلة خداع اللفظ: حسب الترجمة العربية "أتخذ جسداً مماثلاً لطبيعة أجسادنا"، والكلمة "مماثل" جعلت البعض يكتب في ثقة أن "جسداً مماثلاً" لا تعني أن جسده مثل أجسادنا، في حين أن عبارة "مماثلاً لطبيعة أجسادنا" تحدد معنى "مماثل"، أي أنه من ذات الطبيعة الإنسانية، أي جسد إنساني حقيقي؛ لأنه كان "يأكل ويشرب وأنه ولد ... وأما هذه الأمور فإنها تُذكَر عنه لأن الجسد الذي أكل ووُلِد وتألم لم يكن جسد أحد آخر، بل كان جسد الرب نفسه" (١٨: ١).

جسداً قابلاً للموت (٩: ١):

إن تحول الفاسد إلى عدم فساد، والميت إلى حياة، لم يتم بمجرد كلمة من الله، مع أن هذا ممكن ومعقول، ولكنه لا يمنع:

١- الفساد من العودة مرة أخرى، أي تحلل الطبيعة الإنسانية.

٢- لا يقهر الموت الذي لصق بالإنسانية.

٣- لا يوفي مطلب الحق الإلهي، وهو استرداد الصورة الإلهية التي أفسدها الإنسان.

هذه العناصر الثلاثة تكوِّن مشكلة الإنسان، ولذلك يضع المعلم الرسولي العناصر الثلاثة التي أبادت المشكلة من جذرها:

١- بقاء جسد الكلمة في عدم فساد بسبب اتحاده بالكلمة (٩: ١).

٢- تقديم الجسد للموت عن "جميع نظرائه من البشر" (٩: ١).

٣- "وهكذا باتخاذه جسدا مماثلاً لجسد جميع البشر وباتحاده بهم، فإن ابن الله عديم الفساد ألبس الجميع عدم الفساد بوعد القيامة من الأموات" (٩: ٢).

وقد تم ذلك:

أ- لأن تجسد ابن الله أبطل "فساد الموت" بسبب اتحاد الكلمة بالجسد (٩: ٤).

ب- "أبطل الموت" (١٠: ١).

جـ- "مات الجميع .. وهو مات لأجل الجميع" (١٠: ٢).

الأجساد المماثلة (١٠: ٤):

المثيل يشترك مع الأصل إما في ذات الطبيعة، وإما في ذات الخصائص أو الصفات التي تُرَدُّ إلى الطبيعة. فبطرس مثل الأسد في الشجاعة. والأشجار من ذات طبيعة واحدة. وإذا كان البشر يختلفون في الصفات، لكن لدى البشر، كل البشر طبيعة واحدة، ولذلك كما قال الرسول بولس (٢كو ٥: ١٤-١٥)[1]، وكما أعاد الرسولي ذات التعليم: "الكل إذاً ماتوا"، فكيف مات الكل؟

١- قَبِلَ الرب موتنا في حياته الإلهية، فقد "ذاق الموت بالجسد"؛ لأنه قدوس وبار وبلا خطية، فبذبيحة جسده الذاتي وضع نهايةً لشريعة الموت التي كانت ضدنا" (١٠: ٥). وكما "ساد الموت على كل البشر .. لهذا أيضاً فبسبب تأنس كلمة الله فقد

---

(١) "لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا. إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. **فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا. وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ** كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لاَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ".

حدثت إبادة الموت" (١٠: ٥).

٢- لو كان الرب قد أخذ جسداً مختلفاً عن أجساد البشر، فيما عدا أنه كان بلا خطية وحده، لَمَا كان -بكل يقين- إنساناً مثلنا في كل شيء.

٣- لكن المخلص "اكمل جانبين للمحبة: أنه أباد الموت من داخلنا، وجدَّدنا ثانيةً .. عرَّف ذاته بأعماله في الجسد" (١٦: ٥ – ١٨: ٢).

وفي عبارة واحدة قاطعة كتب الرسولي:

"لم يكن ممكناً أن يحوِّل الفاسد إلى عدم فساد، إلا المخلِّص نفسه .. ولم يكن ممكناً أن يُعيد خلق البشر ليكونوا على صورة الله، إلا الذي هو صورة الآب، ولم يكن ممكناً أن يجعل الإنسان المائت غير مائت، إلا ربنا يسوع المسيح الذي هو الحياة ذاتها" (٢٠: ١).

كيف ضاع تحوُّل الإنسانية في المسيح؟

بغير فَهمٍ وعدم مراجعة وعدم ادراك لنتائج التعليم القانوني الذي دخل عندنا مع الإرساليات، نقلنا عنه:

١- دفع الدين لله الآب.

٢- غضب الآب على الابن ومعاقبة الآب للابن على الصليب.

٣- إرضاء العدل الإلهي الذي خُصِّص لله الآب وحده، وكأن الابن له المجد له صفات غير صفات الآب.

كل هذا جعلنا نفقد زخم وغنى تعليم الإسكندرية، ولما نبهنا الأذهان إلى هذا، اندفع البعض إلى حشر عبارات من كتاب تجسد الكلمة للرسولي في محاولة منهم لإثبات

النقاط الثلاثة السابقة التي تبدأ بدفع الدين وسكب نار العدل الإلهي على الابن المصلوب، في حين أن هذه كلها عناصر تعليم وردت في كتابات الغربيين من كاثوليك وبروتستانت، وإن كان لها إغراء عقلي لسهولة الصياغة، إلا أنها تبسط التعليم المسيحي إلى درجة تفريغه من محتواه الحقيقي وهو اتحاد الإنسان بالثالوث القدوس في الابن بالروح القدس.

التجسد ليس نصَّاً ولا كتاباً:

يصدم التجسد كل فكرة وكل تصور ويبعثر خيالنا الرافض لحقيقة أزلية، وهي أن الابن الكلمة هو أقنوم أو شخص، هو كيانٌ من كيان "مولود من الآب قبل كل الدهور"، ونزل من السماء وتجسد من والدة الإله بالروح القدس"؛ لكي يعيدنا إلى الله، نعم يعيد كل البشر إلى الله، والحكم على أن هناك بشراً أفضل وأقدس هو حكمٌ غير مسيحي؛ لأن الوجود الإنساني ناقص، غير كامل جسدياً وروحياً.

ناقصٌ جسدياً؛ لأن كل إنسان تحت سلطان وقوة الموت. وناقصٌ روحياً؛ لأن كل إنسان لا يعرف خالقه معرفة تامة مطلقة، ولذلك جاء الرب لكي يُكمِّل هذا الوجود، فأباد الموت "وأشرق جسدياً من العذراء"، لكي نعرفه ونعرف الآب، ولذلك كتب رسوله يوحنا "الذي رأيناه .. سمعناه .. لمسته أيدينا" (١ يوحنا ١: ١-٣).

تزييف التاريخ:

الرواية أو السرد التاريخي هو الأساس الذي بُنيت عليه كل عقائد الأرثوذكسية. فميلاد الرب البتولي من العذراء بالروح القدس، صار أساس ميلادنا نحن في المعمودية من الماء والروح القدس، وهزيمة الشيطان في البرية، أعطى للرسل في أثناء خدمة الرب نفسه طرد الأرواح الشريرة، والصلب والقيامة هما أساس تقديم الرب حياته قرباناً في العلية وعلى الجلجثة، وقيامة الربِّ، صارت أساس قيامتنا نحن، والصعود هو مصيرنا الأبدي السمائي.

فكيف إذن يتم تزييف التاريخ؟

لقد بدأت مدارس كل الهرطقات بوثائق أبوكريفا مثل "إنجيل بطرس" وغيره، لكي تجعل من الروايات أساساً جديداً للتعليم عن ثنائية الله: إله الخير وإله الشر، وعدمية الجسد. وجاء تحدي الأريوسية، وهو سرد ما ورد عن وحدانية الذات الإلهية في العهد القديم -بشكل خاص- لنفي أُلوهية الابن، وبالتالي حشد اعتراضات من كلمات الأسفار كلها بما فيها العهد الجديد مثل: "أبي أعظم مني"، وخضوع الابن للآب. ذلك لأن الرواية أو Narrative تهدف الى إبراز غاية التدبير، فإذا أمكن تغيير الرواية، تغيرت غاية التدبير.

أدوات التزييف:

١- قنص كلمة أو سطر أو عبارة لتأكيد فكرة مثل فصل المواهب عن عطية الروح القدس.

٢- إغراق القارئ أو المستمع بأفكار منافية للتعليم مثل أن حلول الروح القدس فينا يجعلنا مثل الله في القدرة والحضور في كل مكان .. الخ.

٣- اعتبار الخطاب عن الشركة في الطبيعة الإلهية هو عودة إلى الوثنية، أو أنها كانت شهوة آدم ومن قبله الشيطان.

التجسد أساس الإفراز والتمييز:

حدَّد الآباء أن أهم ما يجب أن يناله المسيحي من روح الحق هو "الإفراز" أو "التمييز". ووضع تجسُّد رب المجد الإفراز على أساس:

١- إن الشركة تشرح اللفظ وليس العكس.

٢- إن هذه العلاقة الخاصة تفوق كل خطاب مهما كان، وأن أي خطاب يهدم شــركتنا في بنوة الابن وحياته الإلهية غير الفاســدة التي تُوهَب لنا في الســرائر، ما هو إلا خطابٌ أجوف كقول رسول المسيح "صنج يرن" ما يلبث أن يتبدد في الهواء.

٣- جاء المسيح لكي يعتق الإنسانية الأسيرة للشر والموت، فأيُّ خطابٍ ينفي أو يقدم روايات أخرى غير ذلك، هو مزيفٌ تماماً.

د. جورج حبيب بباوي